

الترفيه وسيلة لبناء الثقة في ذات المراهقات

يقول "مونتائين" (للتربية سيطرة علينا أكثر مما للطبيعة نفسها) لذلك حين نتحدث عما يخالف قانون الطبيعة من انحرافات النفس البشرية، فنحن نتحدث عن التربية ودور الأسرة في رعاية أبنائها خاصة في مرحلة المراهقة التي هي من أهم مراحل حياة الإنسان. في هذا الإطار يتنزل لقاءنا اليوم مع المعالجة النفسية الدكتورة حنان عطا الله، عضو هيئة تدريس في كلية التربية قسم علم نفس بجامعة الملك سعود، وقد تناولنا فيه جملة من المواضيع عن أهم فئة في المجتمع ألا وهي فئة المراهقات والمراهقين. وركزنا في هذا اللقاء على سلوكياتهم ومشاكلهم ومتطلباتهم.

براحفون أون لابن: يميل أسلوب التربية في المجتمعات العربية إلى التفرقة بين الجنسين بشكل ملحوظ، هل يمكن اعتبار ذلك من الأسباب التي أدت إلى خلق فجوة بين المراهقات وأسرهم؟

يخلق الوالدان في الأسرة معايير خاصة بالصبي تختلف عن تلك الخاصة بالبنات، فما يقوم به الصبي من السلوك قد ترفضه الأسرة إذا قامت به البنات، ويمنح الأولاد الذكور من الحقوق والفرص ما يحرم على البنات. وهذه التفرقة تؤثر في العلاقة بينهما، مما يؤدي إلى إشعال نار الغيرة في نفوس البنات نحو إخوتهم الذكور.

ومن خلال تجربتي كطبيبة نفسية، ألاحظ أن أغلب تشكيات المراهقات اللواتي يترددن على العيادات النفسية هي عدم تفهم الأهل لهن وعدم تمتعهن بالمساواة مع إخوتهن الذكور. فالكثير من الأسر تضع قيودا على البنات في ممارستهن لأبسط أنواع الترفيه. كما لا يتفهم الأهل في الغالب طبيعة فترة المراهقة وغالبا ما ينعكس الخوف الشديد من انحراف الفتاة سلبا عليها فتصاب بالأمراض النفسية. ولذلك لا بد من التأكيد على أن الترفيه وسيلة تعليمية وفعالة لبناء الثقة في الذات المراهقة، وبرأيي الترفيه هو امتداد للعب في مرحلة الطفولة.

براحفون أون لابن: أذكرني لنا بعض القصص عن واقع حياة المراهقات المظلومات من قبل أولياء أمورهن؟

كثير الحديث عن المراهقين واحتياجاتهم ودور الأسرة في تهذيب النفس المراهقة، إلا أنه لا توجد أساليب واضحة تساعد في التعامل مع الأبناء خلال فترة المراهقة. من خلال خبرتك الإكلينيكية أذكرني لنا أمثل السبل في التعامل مع المراهقين؟

هناك أثر اجتماعي يعطي المراهقين طابعا معيناً في مختلف المجتمعات والبيئات الشرقية، وخصوصاً البيئات العربية الإسلامية التي لها تقاليد وموروثاتها الدينية والاجتماعية والتي غالباً ما تبدي استياءها من المراهقين وتصرفاتهم. ومن المؤسف القول إنه بالرغم من أن المراهقين فئة مهمة إلا أننا لا نهتم بها، بدليل عدم وجود فرع طب المراهقين. صحيح أن لدينا بحوثاً للمراهقين، لكنها تبقى حبيسة الأدراج.

ويواجه المراهق بشكل عام، سواء كان ذكراً أو أنثى، عدة مشاكل، وأولها الصراع الذي يواجهه بين قيم المجتمع والقيم الدخيلة (الفضائيات والانترنت). وفي خضم هذه الأزمة لا يوجد أسلوب أمثل أو موحد للتعامل مع المراهقين، إنما هناك ما يسمى بالصراحة والشفافية والاعتراف من قبل الأهل بأن هذه المشاعر طبيعية وأنه عليهم إتاحة الفرصة من جانبهم للتعبير عن هذه المشاعر، ذلك أن أهم ما يصبو إليه المراهق هو أن يجد المجتمع الذي يعيش فيه يعترف بوجوده كفردي ويحترم مشاعره.

براحفون أون الابن: من خلال عمك كعضو هيئة تدريس ومن خلال اتصالاتك المباشر بالطالبات، هل لامست همومهن أو مشاكلهن التي تعترض حياتهن وما يخشين مواجهته مستقبلا ؟

أكبر مشكلة تواجه طالبات الجامعة الآن هي التفكير في الوظيفة وقد أثرت هذه المشكلة حتى على مستواهن التحصيلي حتى أصبحن يدرسن بلا هدف ويتراعى لهن مصيرهن في المنزل لسنوات طويلة. أما المشكلات الأخرى فتتمثل في عدم وجود جو جامعي ممتع، إذ لا توجد أنشطة ترفيهية. وأتساءل هنا كيف نحرم الأنشطة الترفيهية على الطالبة ونحللها للطالب؟ مازلنا نعامل الطالبات كالأطفال ونفرض بعض القيود عليهن، غير أن انحراف البنت يبدأ من المنزل وليس من الجامعة. كما أن بعض عضوات التدريس لا يوجد لديهن الرقي السلوكي بحيث يمنحن الطالبة الثقة بذاتها ويعلمنها كيف تتحمل المسؤولية. إن الطالبة الجامعية في حاجة لأن تشعر بالثقة في نفسها وفي إمكانياتها كإنسان كفاء وصل إلى درجة عالية من تحمل المسؤولية.

ناهد باشطح /السعودية
ماي /مايو 2005

من أكثر القصص التي تؤلمني في العيادة هي إعطاء السلطة المطلقة للذكر الموجود في حياة المرأة كالأب أو الأخ أو الزوج، أعرف مثلا العديد من القصص لطالبات ممن من الدراسة لمجرد أن الأب يريد أن يعاند زوجته المطلقة. أستمتع إلى الكثير من المشكلات عن طريق المكالمات الهاتفية أو عن طريق برنامجي في الإذاعة. مؤخرا اتصلت بي 3 فتيات أخوات وأخبرني أن والدهن أمرهن بعدم إكمال الدراسة، وذلك لأن الأب قد طلق الأم وأرشدته نفسه المريضة أن يسيء إلى طليقته بقهرها. لم يطلب من أولاده ترك الدراسة ولم يستعملهم كأداة انتقام لأنهم لن يرضخوا لرغبته. فالأنثى ضعيفة، بينما الذكر عند أي مضايقة سيترك منزل والده إلى مكان آخر. ولعل ما يزيد الأمر سوءا أن هؤلاء الفتيات اتصلن بالمشايخ وكان الرد الموحد، للأسف، هو أن أمرهن يعود إلى ولي الأمر.

وقد اتصلت أنا شخصا بالعديد من الشخصيات طالبة منهم التفاهم مع الأب وإقناعه بعدم حرمان البنات من مواصلة تعليمهن ولكن أواجه بالنهاية بعبارة (هذه شئون أسرية، ووالدهن أعلم بمصلحتهن).

براحفون أون الابن: نحن نعلم أن الفتاة تتعرض لحالات اعتداء، سواء كانت جسدية أو لفظية، برأيك ما هي أسوأ الحالات التي وقعت عليها من خلال دراساتك العديدة ؟

من أسوأ الحالات التي صادفتني هي حالات الاعتداء الجنسي ومعظمها يتسبب فيها الأقارب وأعني بذلك "زنا المحارم". أتذكر أكثر من حالة كان الأخ أو الأب أو ابن العم أو العم هو المعتدي على الفتاة والمصيبة أنها تلتزم الصمت وتعاني الأمرين خوفا من الفضيحة. وأحيانا يتعاطم الأمر فيتحول إلى ممارسة ولا يتوقف عند حادثة اعتداء واحدة وينتهي الأمر بالحمل وهنا الكارثة. ومن المتعارف عليه أن المرأة لا تخبر أحدا ممن حولها. وهي ظاهرة عالمية منتشرة حتى في المجتمعات الغربية، حيث لا تتحدث ضحايا الاعتداء بسهولة. كما أن المرأة تخاف أن يسبب ذلك مشاكل لأسرتها أو ينتهي الأمر حتى بقتلها، أضيف إلى ذلك أنها لا تجد لمن تشتكي. وهذا يقودنا مرة أخرى إلى أهمية وجود هيئة عليا لشؤون المرأة.

